

# الأمير الحادي والخمسون

كامل كيلاني



الأمير الحادي والخمسون



# الأمير الحادي والخمسون

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ١٦٢٧٧/٢٠١٢

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٠٠٣ ٩

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: + ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ فاكس: + ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## الأمير الحادي والخمسون

### (١) تمهيدُ القصة

هذه قصة أكثر ما فيها عَجيبٌ، وقد حرصتُ على نقل ما أمكن نقله منها، لما فيها من طرائف نادرة. ولم يقلل من قيمتها ما ضاع منها على مرّ الأجيال. فقد كان لحسن الحظ قليل الأثر، لا يقدم في حوادثها ولا يؤخر.

واليك ما أبقاؤه الزمن من حوادثها وصورها، وخلفه لنا من عطاياها وعبرها.

### (٢) «هبة الله» و«حنظلة»

كان «هبة الله» وحيد أمه «فيروزة»، وأحر أبناء أبيه السلطان «قابوس». وكان السلطان «قابوس» قد تزوج «فيروزة» بعد أن بلغ عدد أولاده خمسين. ولم يحدثنا رواة القصة: كيف أنجب هذا العدد الضخم من الأبناء، كما نسوا أن يذكرُوا أسماءهم وأسماء أمهاتهم. وحسناً فعلوا. فما بك حاجة إلى أمثال هذه التفاصيل.

وما ينفعك أن تعرف أسماء جماعة، أكثرهم من الضعاف الكسالى، الذين قضوا أعمارهم الطويلة دون أن يتركوا أثراً باقياً؟ حسبك أن تعرف من بينهم اسمين: أحدهما لا يذكرُ بغير الثناء والإكبار، والآخر لا يذكرُ بغير اللعنة والاحتقار. وبصدها تتميز الأشياء. أما أولهما فهو بطل قصتنا الأمير الحادي والخمسون، واسمه «هبة الله». وكان ينجلي فيه الخير، وتعتز به المروءة، ويرضى عنه الله.

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ الْأَمِيرُ الثَّامِنَ عَشَرَ، وَاسْمُهُ «حَنْظَلَةٌ». وَكَانَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُ — يَتَجَلَّى فِيهِ الشَّرُّ، وَيَعْتَرِزُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ. وَلَمْ يَكُنْ فِي أَوْلِهِمَا مَزِيَّةً، إِلَّا قَابَلَهَا فِي الْأَخْرِ نَقِيصَةً؛ وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ.

وَقَدْ سُمِّيَ أَبُوهُمَا «قَابُوسَ»، فَكَانَ اسْمًا عَلَى مُسَمَّى، أَعْنِي أَنَّ اسْمَهُ كَانَ مُطَابِقًا لَوْصِفِهِ؛ فَقَدْ كَانَ رَائِعَ السَّمْتِ (الْهَيْئَةِ)، بِهِيَ الطَّلَعَةِ، جَمِيلِ الصُّورَةِ. وَقَدْ غَضِبَ السُّلْطَانُ «قَابُوسَ» عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَفِيَّةِ الْمُخْلِصَةِ «فَيْرُوزَةَ» — وَلَمْ يُحَدِّثْنَا الرُّوَاةُ مَاذَا أَعْضَبَهُ مِنْهَا — فَطَرَدَهَا مِنْ قَصْرِهِ، وَهِيَ حَامِلٌ، وَأَعَادَهَا إِلَى عَمَّهَا السُّلْطَانِ «بَهْرَامَ».

لَمْ يُحَدِّثْنَا أَحَدٌ: لِمَاذَا أَبْغَضَهَا السُّلْطَانُ، وَصَبَّ عَلَيْهَا نِقْمَتَهُ؟ وَإِنْ كَانَ أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ لِلْأَمِيرِ الثَّامِنَ عَشَرَ يَدًا فِي تِلْكَ الْمُوَامَرَةِ، الَّتِي أَنْتَهَتْ بِتَحْوِيلِ قَلْبَيْهِمَا، وَتَنْغِيصِ عَيْشِهِمَا. وَلَا زَالَ الْأَشْرَارُ — فِي كُلِّ زَمَنٍ — مُوَلِّعِينَ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الْأَخْيَارِ، بِكُلِّ مَا وَسَعَتْهُ نُفُوسُهُمُ الْوَضِيعَةُ، مِنْ دَسَائِسٍ وَأَذْيَاتٍ، وَمَكَايِدٍ وَإِسَاءَاتٍ. وَقَدِيمًا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «لَا تَزَالَ الْأَسْرَةُ بِخَيْرٍ، مَا لَمْ يُوْجَدْ بَيْنَهَا مَفْسِدٌ».

### (٣) نَشَأَةُ الْبَطَلِ

وَكَأَنَّمَا شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ تَنْطَوِي هَذِهِ النِّقْمَةُ، عَلَى نِعْمَةٍ أَيْ نِعْمَةٍ. فَاِنْصَرَفَ السُّلْطَانُ «بَهْرَامَ» إِلَى الْعِنَايَةِ بِتَنْشِئَةِ ابْنِ أَخِيهِ، وَلَمْ يَدْخُرْ وَسْعًا فِي تَرْوِيهِ بِفُنُونِ الْمَعْرِفَةِ. وَوَكَّلَ ذَلِكَ إِلَى أَقْدَرِ الْمُدْرِسِينَ، وَأَبْرَعَ الْفُرْسَانِ. فَاكْتَسَبَ الْفَتَى — فِي قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — مَا لَا يَكْتَسِبُهُ غَيْرُهُ فِي أَعْوَامٍ طَوَالٍ؛ مِنْ ثِقَافَةٍ شَامِلَةٍ، وَخَبْرَةٍ كَامِلَةٍ. وَجَمَعَ بَيْنَ شَجَاعَةِ الْقَلْبِ، وَالْخَبْرَةِ بِأُصُولِ الْحَرْبِ، وَالتَّمْرِيسِ بِفُنُونِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ.

فَلَمَّا بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، دَوَّى اسْمُهُ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ. وَمَا زَالَ شَأْنُهُ يَكْبُرُ حَتَّى أَصْبَحَ فَارِسَ زَمَانِهِ بِلَا مُنَارِعٍ، وَتَهَيَّبَهُ أَنْبَتُ الشُّجْعَانِ قَلْبًا. وَاشْتَدَّ فَرْعُ أَعْدَائِهِ مِنْهُ؛ حَتَّى أَصْبَحَ اسْمُهُ وَحْدَهُ كَافِيًا — فِي آخِرِ أَيَّامِهِ — لِتَمْزِيقِ جُيُوشِهِمْ، وَتَشْتِيتِ جُمُوعِهِمْ. فَكَانَ يُكْفِي لَهُزِيمَتِهِمْ، وَتَفْرِيقِ جُمُوعِهِمْ، أَنْ يُقَالَ: «جَاءَ هِبَةُ اللَّهِ».

وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ التَّجَوُّالِ، وَالسَّيْرِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ، بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ — عَلَى عَادَةِ الْأَمْرَاءِ فِي عَصْرِهِ — طَلَبًا لِلْمَجْدِ — وَحُسْنِ الْأُحْدُوثَةِ، فِدَاعَ صَيْتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

#### (٤) وَاجِبُ الْأُبُوءَةِ

وَأَنْتَهَى إِلَى سَمْعِ الْأَمِيرِ — ذَاتَ يَوْمٍ — أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَشْرَارِ قَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى انْتِهَازِ فَضْلِ الشُّتَاءِ، لِمُهَاجِمَةِ أَبِيهِ وَعَزْوِ مَدِينَتِهِ، وَاعْتِصَابِ مَمْلَكَتِهِ. فَلَمْ يُطِقِ الْبُقَاءَ لَحَظَةً وَاحِدَةً، وَأَسْرَعَ إِلَى أُمِّهِ يَسْتَأْذِنُهَا فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَى نُصْرَةِ أَبِيهِ. وَلَمْ تُصَدِّقْ أُمُّهُ أَنَّ أَحَدًا يَجْرُؤُ عَلَى مُهَاجِمَةِ السُّلْطَانِ «قَابُوسَ». وَدَفَعَتْهَا مَحَبَّتُهَا لَوْلَدِهَا إِلَى تَثْبِيْطِ عَزْمِهِ، وَتَفْتِيرِ هَمَّتِهِ عَنِ السَّفْرِ. وَدَارَ بَيْنَهُمَا جَوَارٌ طَوِيلٌ، خَتَمَتْهُ «فَيْرُوزَةُ» قَائِلَةً: «مَا أَظُنُّ أَبَاكَ يُفَكِّرُ فِيكَ، مُنْذُ طَرَدَ أَمَّاكَ مِنْ بِلَادِهِ، دُونَ ذَنْبِ جَنْتِهِ، وَأَنْتَ جَنِينٌ لَمْ تَظْهَرْ لِلْوُجُودِ. وَلَا تَنْسَ أَنَّ لِأَبِيكَ مِنَ الْأَوْلَادِ خَمْسِينَ، يَكْثُرُونَكَ سِنًا وَتَجْرِبَةً، فَلَنْ تَزِيدَهُمْ إِلَّا وَاحِدًا. وَلَوْ فَكَّرَ فِيكَ لِاسْتِدْعَاكَ إِلَيْهِ.» فَلَمْ يَثْنِ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ «هَبَةَ اللَّهِ»، وَأَجَابَهَا، فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ: «سَيِّانَ عِنْدِي — يَا أُمَّاهُ — أَنْ يُفَكِّرَ أَبِي فِي أَمْرِي، أَوْ لَا يُفَكِّرَ؛ فَإِنَّ وَاجِبَ الْأُبُوءَةِ يَقْتَضِينِي أَنْ أُحَارِبَ أَعْدَاءَهُ، وَلَوْ تَنَكَّرَ لِي وَطَرَدَنِي. وَهَيْهَاتَ أَنْ أُنْسَى أُبُوتَهُ لِي. وَمَحَالٌ أَنْ أُسَلِّمَهُ إِلَى الْخِذْلَانِ، وَأَرْضَى لَهُ الْهَوَانَ.»

فَلَمْ تَتَمَّاكَ «فَيْرُوزَةُ» أَنْ تُظْهَرَ لَوْلَدِهَا الشُّجَاعِ إِعْجَابَهَا بِهِ. وَقَدْ بَهَّرَهَا مَا رَأَتْ مِنْ كَرِيمِ شَمَائِلِهِ. وَلَمْ تَتَرَدَّدْ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِالسَّفْرِ، وَالِدُعَاءِ لَهُ بِالنَّجَاحِ. وَسُرْعَانَ مَا وَدَّعَهَا، شَاكِرًا لَهَا دَعْوَاتِهَا، وَهُوَ شَدِيدُ الْفَرَحِ بِقُرْبِ لِقَاءِ أَبِيهِ.

#### (٥) نَصْرُ حَاسِمٍ

وَمَا زَالَ «هَبَةُ اللَّهِ» يُجِدُّ السَّيْرَ، حَتَّى بَلَغَ مَمْلَكَةَ أَبِيهِ، قَبْلَ حُلُولِ فَضْلِ الشُّتَاءِ. وَلَمْ يَكْدُ يَمْتَلُ بِبَيْنِ يَدَيْهِ، حَتَّى أَخْبَرَهُ بِمَا جَاءَ لِأَجْلِهِ، بَعْدَ أَنْ أَخْفَى عَنْهُ أَنَّهُ وَلَدُهُ الَّذِي أَنْجَبَهُ مِنَ «فَيْرُوزَةَ». ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ مَا أَعَدَّهُ لِمُفَاجَأَةِ أَعْدَائِهِ، مِنْ خُطَّةٍ حَرِيْبَةٍ بَارِعَةٍ، كَقِبْلَةٍ بِنَمْزِيقِ شَمْلِهِمْ، وَإِحْبَاطِ كَيْدِهِمْ. فَأَعْجَبَ السُّلْطَانُ «قَابُوسُ» بِالْقَائِدِ الْفَتَى، وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ بَعْدَ أَنْ رَأَى مَا مَيَّرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَفَازِ بَصِيرَةٍ، وَصِدْقِ سَرِيرَةٍ، وَأَصَالَةِ تَفْكِيرٍ، وَإِحْكَامِ تَدْبِيرٍ، سَجَايَا



لا يظفر بمثلها إلا بارع موهوب، متمرس بالخطوب، خبير باكتساب الحروب. ولم يتردد السلطان في إجابته إلى طلبته؛ بعد أن أخلد إليه بكل ثقته، فأمره على رأس فيلق كبير، من خيرة جنده المدربين. ونجحت خطته أوفى نجاح، وانتصر على أعدائه نصرًا حاسمًا؛ بعد أن كمن في منتصف طريقهم إلى حاضرة أبيه، وفاجأهم — من حيث لا يتوقعون — مفاجأة صاعقة، قدفت الرعب في قلوبهم، وأوقعت الخلل بين صفوفهم. فلم يجدوا للنجاة وسيلة غير الفرار، تاركين له كل ما أعدوه من أسلاب وعتاد.

وهكذا عاد بطل قصتنا إلى أبيه، بعد أن تم له النصر، واكتسب محبة الجند. ولا تسل عن إعجاب السلطان «قابوس» بالفارس الشاب الذي ساقه إليه حظته السعيد؛ لإعزازه ونصره، وصون ملكه وشد أزره. ولم يجد ما يكافئه به إلا أن يؤمره على الجيش كله، بما يحويه من أمراء وقادة وجند. وأصبح الأمراء الخمسون — منذ ذلك اليوم — تحت لواء الفتى الشجاع، الذي حفظ ملك أبيهم من الضياع.

## (٦) كيد الحاسد

وفرح الإخوة بإمارة «هبة الله» عليهم، ولم يكتفوا سرورهم وإعجابهم، ولم يشذ عنهم إلا «حنظلة»، ذلك الشيطان الغادر الذي حدثك عنه. فقد امتلأ صدره حقدًا عليه، وبغضًا له. ولم يطق ما أحرزه من فوز باهر؛ فراح يوسوس في صدور إخوته كما يوسوس الشيطان اللعين، في صدور الأمينين الوادعين؛ فيضعفها ويحببها، ويعميها عن الحق ويضلها. وما زال «حنظلة» بهم حتى أوعر صدورهم (ملأها غيظًا)؛ فانقادوا لرأيه الخاطيء، وسألوه أن يخبرهم بما أعدّه من حيلة لقتله. فقال: «ليس من الحزم أن نقتل الفتى، فما نأمن أن تنكشف جريمتنا، بعد قليل من الزمن أو كثير. وهيئات أن نفلت — إذا افتضح السر — من عقاب السلطان، ونقمة الجند، وسخط الشعب». فقالوا له: «فماذا أعددت من خطة للانتقام منه؟» فأجابهم باسمًا: «الرأي عندي أن نتحايل عليه غدًا، ليصحبنا للصيد، ثم نتحين فرصة للهرب منه، ونغيب عن المملكة شهرًا كاملًا، فلا نعود إلا وقد ارتحنا منه إلى الأبد.»

وَسَأَلَهُ إِخْوَتُهُ مُتَعَجِّبِينَ: «فَمَاذَا يَصِيرُ «هَبَةُ اللَّهِ» أَنْ نَغِيَّبَ عَنِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ؟» فَأَجَابَهُمْ مُتَخَابِتًا: «إِنَّ السُّلْطَانَ — مَتَى رَأَهُ يَخْرُجُ مَعَنَا ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَحْدَهُ — سَاوَرَهُ الشُّكُّ فِي أَمْرِهِ، وَظَنَّ بِهِ الظُّنُونِ. وَلَنْ يُعْفِيَهُ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: الطَّرْدِ، أَوْ الْقَتْلِ. وَسَنَرْتَاخُ مِنْهُ عَلَى كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ.» فَلَمْ يَتِمَّاكَ الْأَمْرَاءُ أَنْ انْتَقَدُوا لِاقْتِرَاحِ الْحَبِيثِ، وَإِقْرَارِهِ عَلَى مَا بَيَّنَّهُ مِنْ شَرٍّ.

### (٧) نَجَاحُ الْمُوَاظَرَةِ

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، خَرَجَ الْمُؤْتَمِرُونَ، وَمَعَهُمُ الْأَمِيرُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ. وَمَا كَادُوا يَبْلُغُونَ الْغَابَةَ حَتَّى أَغْرَى «حَنْظَلَةُ» أَحَاهُ «هَبَةُ اللَّهِ» بِمَتَابَعَةِ غَزَالِ شَارِدٍ، وَرَجَاهُ أَنْ يَقْتَنِصَهُ لَهُ، دُونَ أَنْ يَمْسَهُ بِسُوءٍ. فَلَمْ يُحِبِّبِ «هَبَةُ اللَّهِ» رَجَاءَ «حَنْظَلَةَ»، وَأَسْرَعَ إِلَى الْغَزَالِ يُطَارِدُهُ؛ حَتَّى غَابَ عَنْ عِيُونِ إِخْوَتِهِ. وَأَنْتَهَرَ الْغَايِرُ فُرْصَةَ ابْتِعَادِهِ، فَانزَوَى بِإِخْوَتِهِ فِي مَحْبَاٍ مِنَ الْغَابَةِ أَمِينٍ. فَلَمَّا عَادَ «هَبَةُ اللَّهِ» بِالْغَزَالِ، لَمْ يَعْتَرُ لَهُمْ عَلَى أَتْرِ. فَوَاصِلٌ بَحْتَهُ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَقَرِّهِمْ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ «قَابُوسُ» يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أَوْلَادِهِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ؛ فَلَمْ يَكِدْ يَرَى «هَبَةَ اللَّهِ» يَعُودُ وَحْدَهُ، حَتَّى خَامَرَهُ الشُّكُّ فِي أَمْرِهِ، وَأَشْتَدَّ بِهِ الْقَلْقُ عَلَى أَوْلَادِهِ. وَحَاوَلَ «هَبَةُ اللَّهِ» أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ فَلَمْ يَجِدْ لِكَلَامِهِ سَمِيعًا. وَقَدْ حَايَرَهُ السُّلْطَانُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَنْ يَعُودَ بِهِمْ إِلَيْهِ كَمَا ذَهَبَ مَعَهُمْ، أَوْ يُفَارِقَهُ فِرَاقَ الْأَبْدِ. فَإِذَا أَبِي إِلَّا الْبَقَاءَ، فَالْقَتْلُ لَهُ جَزَاءٌ. فَخَرَجَ الْأَمِيرُ «هَبَةُ اللَّهِ» مِنْ مَدِينَةِ أَبِيهِ حَيْرَانٌ؛ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَقْصِدُ، وَلَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَتَّجِهُ؟

### (٨) سَجِينَةُ الْجَبَّارِ

وَانْقَضَتْ أَيَّامٌ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ، دُونَ أَنْ يَعْتَرُ لِإِخْوَتِهِ عَلَى أَتْرِ. ثُمَّ لَاحَ لَهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، قَصْرٌ شَاهِقٌ، فَمَشَى فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْهُ. فَرَأَى فَتَاةً حَسَنَاءَ تَطْلُ مِنْ نَافِذَتِهِ، وَهِيَ تَبْكِي حَظَهَا التَّاعَسَ. فَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا. فَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ، رَاجِيَةً أَلَّا يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَمْرِهَا، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ بِالْفِرَارِ؛ قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَهُ الزَّنْحِيُّ الْجَبَّارُ. وَحَاوَلَ أَنْ يَهْدِيَ

مَنْ خَوْفِهَا وَفَزَعَهَا. فَصَاحَتْ بِهِ مُرْتَجِفَةً: «عَجَلْ بِالْفِرَارِ أَيُّهَا الْفَتَى، وَإِلَّا أَوْقَعَكَ سُوءٌ حَظُّكَ فِي قَبْضَةِ صَاحِبِ الْقَصْرِ كَمَا أَوْقَعَنِي.» فَلَمَّا رَأَتْهُ ثَابِتَ الْقَلْبِ، بِاسْمِ الثَّغْرِ، صَرَخَتْ قَائِلَةً: «بِرَبِّكَ إِلَّا مَا عَجَلْتَ بِالْفِرَارِ؛ فَلَنْ يَرَحِمَكَ الْجَبَّارُ، إِذَا رَأَكَ، وَلَنْ يُشْفِقَ عَلَى شَبَابِكَ الْغَضُّ. مَا بِالْكَ لَا تُصْغِي إِلَى نَصِيحَتِي؟ عَجِيبٌ مَا أَرَاهُ مِنْ جُرْأَتِكَ! وَاحْتِقَارِكَ لِلْخَطَرِ وَاسْتِهَانَتِكَ.. أَنْجُ بِنَفْسِكَ؛ فَقَدْ أَلَفَ الْجَبَّارُ أَنْ يَأْكُلَ أَسْرَاهُ، وَيَبِطِّشَ بِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ، أَوْ تَفْعُ عَلَيْهِ عَيْنَاهُ.»

### (٩) دَهْشَةُ الْجَبَّارِ

فَأَجَابَهَا «هَبَةُ اللَّهِ» إجابةً الواثقِ بِنَفْسِهِ: «إِذَا كَانَ جَبَّارُ الْقَصْرِ كَمَا وَصَفْتِ، فَكَيْفَ أَتْرُكُ فِتَاةً كَرِيمَةً مِثْلَكَ تَتَعَرَّضُ لِقَسْوَتِهِ وَبَطْشِهِ؟ إِنَّ الْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَأَكْرَمُ مِنَ التَّخَلِّي عَنِ الْوَاجِبِ. وَسَتَرَيْنِ كَيْفَ أَنْقِذُكَ مِنْ ظُلْمِهِ، بَعْدَ أَنْ أَصْرَعَهُ وَأَصْبِغَ الْأَرْضَ بِدَمِهِ.»

وَمَا كَادَ يَتِمُّ قَوْلَتُهُ، حَتَّى رَأَى الزَّنَجِيَّ الشَّرِسَ مِيَمًا نَحْوَهُ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِهِ، وَهُوَ يَهْزُهُ سَيْفُهُ؛ مُلَوِّحًا بِهِ مُتَهَدِّدًا، مُنْذِرًا مُتَوَعِّدًا، وَقَدْ انْبَعَثَتْ مِنْهُ صَرَخَاتٌ مُجَلِّلَةٌ فِي الْفُضَاءِ، كَفَيْلَةٌ بِنَفْزِيعِ أَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ. وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْجَبَّارِ حِينَ رَأَى «هَبَةَ اللَّهِ» ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ، لَمْ يَتَفَرَّغْ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَمْ يَهَبْ، وَلَمْ يَفَكَّرْ فِي الْفِرَارِ وَالْهَرَبِ.

### (١٠) مَصْرَعُ الْغُولِ

وَكَانَ قَدْ أَلَفَ مِنْ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ الْفُرْسَانِ، أَنْ يُسْرِعَ أَشْجَعُهُمْ بِالْهَرَبِ مِنْهُ؛ إِذَا اسْتَطَاعَ إِلَى الْهَرَبِ سَبِيلًا، فَإِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ الْخِنَاقَ، تَفَكَّكَتْ أَوْصَالُهُ، وَأَغْمِي عَلَيْهِ مِنْ فَرْطِ الرُّعْبِ. وَلَمْ يُصَدِّقِ الْجَبَّارُ أَنَّ أَحَدًا يَجْرُؤُ عَلَى مَوَاجَهَتِهِ، فَضَلًّا عَنْ تَحْدِيهِ وَمُجَابَهَتِهِ.



وَحَسِبَهُ الْجَبَّارُ مَخْبُولًا أَوْ مَعْتُوهَاً، سَاقَهُ أَجْلُهُ إِلَيْهِ، وَدَفَعَهُ سُوءَ حَظِّهِ لِيَلْقَى مَصْرَعَهُ عَلَى يَدَيْهِ. وَابْتَدَرَهُ الرَّزْجِيُّ بِضَرْبَةٍ هَائِلَةٍ مِنْ سَيْفِهِ، كَانَ الظَّنُّ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ، لَوْلَا مَا مَيَّرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَرَاعَةٍ وَمَرَانَةٍ عَلَى أَسَالِيبِ الْحَرْبِ، وَخَبْرَةٍ بِأُصُولِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ. وَلَمْ يَكُنْ «هَبَّهُ اللَّهُ» يَتَلَفَى الضَّرْبَةَ؛ حَتَّى وَتَبَّ عَلَى عَدُوِّهِ فِي رَشَاقَةِ نَادِرَةٍ، وَهَوَى بِسَيْفِهِ عَلَى رُكْبَةِ الْجَبَّارِ بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تُذْهِلُهُ لِشِدَّةِ الْأَلَمِ. وَحَاوَلَ الْجَبَّارُ أَنْ يَتَجَلَّدَ وَيَسْتَمْسِكَ؛ وَقَدْ

ضاعف الأكم من غيظه. ورأه «هبة الله»، وهو يتحفر للانتقام، فعاجله بضربة ثانية، بترت (قطعت) يمينه، فهوت إلى الأرض، وفي قبضتها سيفه. وبرح به الأكم، فهوى إلى الأرض خائر العزم، وهن القوى. فهوى صاحبنا على رقبته بضربة ثالثة، أطاح بها رأسه عن جسده.



### (١١) سرداب الأشرى

وما كادت الفتاة تشهد مصرع الغول الآدمي الأسود، حتى انبعتت منها صيحات الإعجاب بشجاعة الأمير الفتى، واندفعت إليه تغمزه بعبارات الثناء والشكر، على ما هيأه لها من فرصة للنجاة من شره. فأقبل عليها «هبة الله» يطمئنها، ويسألها: ما قصتها؟ وماذا أوقعها في قبضة الأسود؟ وكان لتلك الفتاة — على الحقيقة — مأساة فريدة؛ جمعت فنونا من النؤس، وألوانا من الشقاء، واشترك في تأليفها عجائب من سوء الحظ، ومفارقات من نكد الطالع. ثم ختمت باستيلاء الجبار عليها أسيرة، قبل أن يهبى الله لها فرصة النجاة من شره، على يد «هبة الله».

وكان أول ما بدأته به؛ أن أفضت إليه بما يفيض به قصر الزنجي من الأسرار، وأطلعته على كنوزه الطائلة؛ كما أطلعته على سردابه الكبير، الذي كان يسجن فيه كل من يوقعه سوء حظّه في قبضته؛ ليتخذ من لومهم كل يوم فطوره وعداءه وعشاءه. وسرعان ما صحب الفتاة إلى السرداب؛ بعد أن انتزع مفاتيح أبوابه المعلقة بحزامه. ولم يكذ يهبط دركات من السلم حتى أدّشّه ما رآه على وجوه الأسرى من أمارات الرعب والفرع؛ حين سمعوا صرير الباب وهو يفتح. وكانوا يحسبون الوحش الأدمي قادمًا عليهم ليختار منهم من يشويه ليأكله — على عادته — كل يوم. فلما علموا أنّ الجبار قد لقي مصرعه على يد الأمير الفتى؛ تبدّل خوفهم أمنًا، ويأسهم رجاءً، والتفوا حول الأمير الشجاع، يمزجون له صادق الشكر بخالص الدعاء.

## (١٢) الإخوة الخمسون

ولا تسَل عن دهشة الأمير «هبة الله»، حين رأى إخوته الخمسين، يخرجون من بين الأسرى، ويتهاقنون عليه فرحانين بما وفق إليه من نجاح في قتل الزنجي. وكان فرح الأمير ببقاء إخوته، لا يقل عن فرحهم بالنجاة من قبضة الوحش الذي كان أكلهم لا محالة، كما أكل من قبلهم من الأسرى التاعسين.

فرح أولئك الأسرى، ما عدا الأمير الثامن عشر. فقد كان — لفرط حقه — يؤثّر أن يأكله الجبار؛ على أن يظفر منافسه بهذا الانتصار. ورأى «هبة الله» في قصر الجبار كنوزًا لا تحصى، مما جمعه في حياته الظالمة. فقسّمها بين الأسرى بالسواء. وأنصرف المسجونون، عائدین إلى بلادهم شاكرين.

## (١٣) حديث المائدة

ولم يبق في قصر الجبار غير الفتاة والأمراء الخمسين. وأعدت لهم الفتاة عشاءً فاخرًا. فجلسوا على المائدة يتحدثون، وقضوا ليلة هائلة سعيدة. وما زالوا يسْمرون، حتى حان موعد النوم؛ فانصرفوا إلى مضاجعهم وادعين. وكان أعجب ما دار على المائدة من أحاديث،

قصة الفتاة التاعسة، التي سجنها الجبار في قصره. ولا ريب أن شوقك إلى سماعها قد بلغ أقصاه. وهأنذا أقصها عليك، كما تحدث بأنباؤها الرواة.

## (١٤) مأساة الفتاة

قالت الفتاة: «اسمي «ناهد»، واسم أبي السلطان «رستم». وقد توفيت أمي — وأنا صغيرة — ولم ينجب أبواي من الذرية سواي. وكان والدي على شجاعته وعذله، مولعاً بالصيد، إلى حد كاد يشغله عما تتطلبه شؤون رعيته من عناية وتدبير. ولولا حزم وزيره «راشد» — الذي جمع بين الإخلاص لأبي، والتفاني في إقامة العدالة — لضاع الملك من بيتنا، منذ وليه أبي. وذات يوم خرج أبي للصيد، في صفوة من حاشيته، إلى الغابة، وجمع كثيراً مما اصطاده. ولما هم بالعودة، رأى في طريقه عيراً (جماراً وحشياً)، فأسرع إليه يطاردُه حتى ظفر به. وكان الليل قد حيم ظلامه؛ فآثر البقاء بحيث هو، وبعث إلى أصحابه يخبرهم بإمكانه. ولم يكذأبي يستقر في الغابة؛ حتى لاح له وميض نور على مسافة بعيدة، فحسبه منبعثاً من بعض القرى. وما كاد يقترب منه حتى رأى زنجياً مفرغ الخلقة، جالساً في الكوخ، يشوي على النار ثوراً هائلاً اصطاده منذ قليل، وإلى جانبه باطية (إناء مملوء بالشراب).

وكان يعب ما في الباطية (يشربه بلا تنفيس)، ويلتهم الثور الحنيد (المشوي) في شره عجيب. وحانت من والدي التفاتة، فرأى على أرض الكوخ سيده مقيده، يكاد الحزن يفترسها، وتحت قدميها وليد، لا يتجاوز الثالثة من عمره. وكأنما شعر الصغير بما تعانیه أمه من الأم، فراح يشق الفضاء بصراجه، ويبكي بلا انقطاع. ولم يطق أبي صبراً على البقاء دون مهاجمة العملاق؛ برغم ما جهد أبي من الصيد. ولم يكن في قدرته أن يهاجمه علانية، فلجأ إلى الاحتيال.

وكان الزنجي حينئذ قد جرع الباطية كلها، والتهم من الثور الحنيد (المشوي) نصف لحمه. وسمعه أبي وهو يعاتب أسيرته، قائلاً: «ما بالك تلجئ إلى العناد أيتها الحسنة، وتدفعيني إلى إيدائك؟ ما بالك ترفضين الزواج بي على ما ترى من وداعتي معك، وتلطفني بك؟ ولماذا تؤثرين الشقاء على الهناء، وتفضلين الهلاك على البقاء؟» ثم سمع الفتاة وهي

تُجِيبُهُ، فِي تَحَدٍّ وَازْدِرَاءٍ: «إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ، أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَدْمِيُّ الْغَادِرُ!»  
 وَرَأَى الزَّنَجِيَّ يَتَحَفَّزُ لِلْفَتْكِ بِأَسِيرَتِهِ، بَعْدَ مَا سَمِعَهُ مِنْ تَمَادِيهَا فِي تَحْقِيرِهِ وَإِهَانَتِهِ، وَإِذَا  
 هُوَ يُسْرِعُ إِلَى شَعْرِهَا، فَيَجْذِبُهُ بِسِرَاهُ جَذْبَةً عَنِيفَةً، فَيُصْبِحُ جِسْمُهَا مُعَلَّقًا فِي الْفُضَاءِ،  
 وَيُهْزَهُ السَّيْفُ بِإِمْنَاهُ، لِيَهْوِيَ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا. وَقَدْ كَادَ يَتِمُّ لَهُ مُرَادُهُ، لَوْ لَمْ يُسْرِعْ أَبِي إِلَى  
 قَوْسِهِ، وَيُصِيبَ سَهْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، إِلَى قَلْبِهِ وَرَأْسِهِ، فَيَقْتُلُهُ مِنْ فَوْرِهِ، وَيُرِيحُ النَّاسَ مِنْ  
 عَسْفِهِ وَجَوْرِهِ.

وَأَسْرَعَ أَبِي إِلَى الْأَسِيرَةِ، فَأَطْلَقَ سَرَاحَهَا، فَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ شَاكِرَةً. فَنَحَّاهَا مُتَلَطِّفًا.  
 وَأَذْرَكَ — مِنْ قِصَّتِهَا — أَنَّ الزَّنَجِيَّ قَدْ اغْتَصَبَهَا، وَهَرَبَ بِهَا إِلَى الْغَابَةِ، لِيَسْتَأْثِرَ بِهَا وَحْدَهُ،  
 بَعْدَ أَنْ قَتَلَ زَوْجَهَا، وَيَتِمَّ طِفْلُهَا. وَقَدْ لَقِيَتِ السَّيِّدَةَ وَوَلَدَهَا مِنْ كَرَمِ أَبِي مَا بَدَّلَ تَعَاسَتَهُمَا  
 سَعَادَةً، وَشَقَاءَ عَيْشِهِمَا رَغَادَةً، وَعُنِيَ أَبِي بِتَرْبِيَةِ وَلَدِهَا عِنَايَةً الْوَالِدِ بَوْلَدِهِ. حَتَّى إِذَا كَبُرَ،  
 انْتَهَزَ فُرْصَةَ خُرُوجِ أَبِي إِلَى الصَّيْدِ، وَدَيَّنَ لَهُ شَيْطَانُ الْغَدْرِ أَنْ يَأْتِمَرَ بِأَبِي — مَعَ بَعْضِ  
 الْمُوَالِينَ لَهُ مِنَ الْأَشْرَارِ — لِيَقْتُلُوهُ. وَنَجَحَتْ هَذِهِ الْمُؤَامَرَةُ، وَتَمَّ لِلأَشْقِيَاءِ مَا أَرَادُوا. وَكَانَ  
 الشَّرِيرُ يَعْتَرِزُ الزَّوْجَ بِي. فَدَبَّرَ لِي الْوَزِيرُ «رَاشِدُ» وَسَيْلَةَ الْهَرَبِ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ مَرْكَبًا كَبِيرًا  
 رَكَبْنَاهُ خُلُوسَةً فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ مَعَ بَعْضِ خُلَصَائِنَا الْأَوْفِيَاءِ، وَصَفَا لَنَا الْجَوُّ أَيَّامًا، ثُمَّ  
 هَبَّتْ عَلَيْنَا عَاصِفَةٌ هُوَجَاءَ، انْتَهَتْ بِتَحْطِيمِ الْمَرْكَبِ وَغَرَقِ رَاكِبِيهِ. وَتَعَلَّقَتْ يَدَايَ بِلَوْحٍ مِنَ  
 الْحَشَبِ، ثُمَّ هَدَّأَتِ الْعَاصِفَةُ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَقَذَفَ بِي الْمَوْجُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَارْتَمَيْتُ عَلَى  
 السَّاحِلِ، مَجْهُودَةً الْقُوَى، وَاسْتَيْقَظْتُ عَلَى أَصْوَاتِ جَمَاعَةٍ يَتَحَدَّثُونَ.





وَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، وَسَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَفْضَيْتُ بِهَا إِلَيْهِ. فَبَدَأَ — عَلَى سِيْمَاهُ  
 — الْحُزْنَ، وَلِكِنَّهُ غَالِبُهُ جُهْدُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ مُوسِيًّا (مُصْبِرًّا)، بِإِذْلَالِ كُلِّ مَا فِي وَسْعِهِ، لِتَهْوِينِ  
 مُصَابِي عَلَيَّ، وَحَسِبْتُ أَنْ زَمَنَ الشَّقَاءِ وَالنَّحْسِ قَدْ وَلَّى، وَلَمْ أَدْرِ مَا يَحْبُوهُ لِي الْقَدْرُ مِنْ  
 مَصَائِبِ وَأَحْدَاثٍ. وَلَا تَسَلْ عَنْ حَيِّبَةِ أَمَلِي حِينَ فَاجَأْنَا — فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ — رَسُولٌ  
 يُنذِرُهُ بِالْوَيْلِ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ عَدُوَّهُ اللُّدُودَ، الْأَمِيرَ «طَلْحَةَ» قَدْ أَغَارَ عَلَى بِلَادِهِ — مُنْذُ أَيَّامٍ  
 — وَهَزَمَ جَيْشَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مُلْكِهِ. وَلَمْ يُذْهِلْهُ النَّبَأُ الصَّاعِقُ عَنِ الْعِنَايَةِ بِي، وَالتَّفَكِيرِ  
 فِي أَمْرِي، فَأَعَدَّ لِي زَوْرَقًا حَمَلَنِي فِيهِ، لِيُودِعَنِي مَمْلَكَةَ عَمِّهِ، ثُمَّ يُعِدُّ جَيْشًا كَبِيرًا لِمُحَارَبَةِ  
 غَاصِبِ مُلْكِهِ. وَمَا زَالَ يَجِدِفُ بِي، حَتَّى إِذَا عَاوَدْنَا الْأَمْنَ — بَعْدَ أَنْ اجْتَزْنَا نِصْفَ الطَّرِيقِ  
 — دَهَمْتُنَا عِصَابَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، فَانْتَبَرَى لَهُمُ الْأَمِيرُ الْفَتَى، وَصَرَخَ أَرْبَعَةً مِنْهُمْ؛ ثُمَّ تَكَاثَرَ  
 عَلَيْهِ الْبَاقُونَ فَفَقَتَلُوهُ، وَرَمَوْا بِجَسَدِهِ فِي الْبَحْرِ.

وَحَاوَلَ كُلُّ مَنْهُمْ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِي لِنَفْسِهِ، فَنَارَعَهُ رِفَاقُهُ. وَدَبَّ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ، مُحَاوَرَةً  
 وَمُكَالَمَةً، ثُمَّ تَدَرَّجَ مَلْحَاةً وَمُشَاتِمَةً، ثُمَّ انْتَهَى عِرَاكًا وَمُهَاجِمَةً. فَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَلَمْ يَبْقَ

مَنْ الْقَتْلُ غَيْرُ شَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ، يَجْمَعُ بَيْنَ الْفَظَاظَةِ وَالْجَهَامَةِ، وَالْعَرَجِ وَالِدَّمَامَةِ. وَكَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْإِبْتِهَاجُ بِمَقْتَلِ رِفَاقِهِ. وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرَعِي حِينَ رَأَيْتَهُ يَتَطَلَّعُ إِلَى الزَّوْاجِ بِي، وَلَمْ أَكْذُ أَعْلِنُ لَهُ الرَّفْضَ حَتَّى تَمَلَّكَهُ الْغَيْظُ، وَابْتَدَرَنِي بِلُكْمَةٍ قَاسِيَةٍ، سَقَطَتْ مِنْهَا عَلَى الْأَثَرِ. وَمَا كِدْتُ أَفِيقُ مِنْ غَشِيَّتِي، حَتَّى اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَرْكَبُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَمَرَّتْ بِنَا — بَعْدَ سَاعَاتٍ — إِحْدَى الْقَوَافِلِ الذَّاهِبَةِ إِلَى «دَمَشَقَ»، فَصَحَبْنَاهَا. وَلَمْ تَكَدْ تَطْلُعُ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِيِ، حَتَّى دَهَمْتَنَا عِصَابَةٌ مِنَ اللَّصُوصِ؛ فَقَتَلُوا الْأَعْرَجَ الدَّمِيمَ، فِيمَنْ قَتَلُوهُ مِنْ رِجَالِ الْقَافِلَةِ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى أَسْلَابِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْ الْقَتْلِ سِوَايَ، فَحَمَلُونِي مَعَهُمْ أُسِيرَةً. وَلَمْ يَنْقُضْ عَلَيَّ هَذَا الْحَادِثِ يَوْمَانِ، حَتَّى رَأَيْتُ اللَّصُوصَ يُسَارِعُونَ إِلَى الْهَرَبِ، تَارِكِينَ مَا غَنِمُوهُ مِنْ أَسْلَابٍ. وَدُرْتُ بِبَصْرِي مُتَلَفِّتَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ، لِأَتَعَرَّفَ مَصْدَرَ فَرَعِهِمْ، فَرَأَيْتُ الْجَبَّارَ — الَّذِي تَمَّ مَصْرَعُهُ عَلَيَّ يَدِيكَ — قَادِمًا عَلَيَّ رَأْسَ هَضْبَةٍ عَالِيَةٍ بَعِيدَةٍ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ لَأَدُوا بِالْفِرَارِ قَبْلَ أَنْ يَفْطَنَ إِلَيْهِمْ، وَعَادَ الْجَبَّارُ إِلَى قَصْرِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُنِي عَلَى كَتِفِيهِ. ثُمَّ شَغَلَهُ اللَّهُ عَنِّي بِجَمْعِ مَا غَنِمَهُ مِنَ الْأَسْلَابِ. وَقَدْ كَادَ يَفْتِكُ بِي، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ لِإِنْقَاذِي. فَشُكْرًا لَكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ النَّبِيلُ.»

### (١٥) حَفَلَةُ الْعُرْسِ

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ «هَبَةَ اللَّهِ» قِصَّةَ الْأَمِيرَةِ الْفَتَاةِ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُتَلَطِّفًا، وَلَمْ يَدَّخِرْ جُهْدَهُ فِي مُوَاسَاتِهَا، وَتَهْوِينَ مَا لَاقَتْهُ مِنْ مِصَابِيهَا وَالْأَمَهَا. ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ يَسْأَلُهَا: أَرْضَى بِهَذَا زَوْجًا؟ فَأَجَابَتْهُ: «إِنَّكَ مِثَالُ الْمُرْوَةِ وَالشَّهَامَةِ وَكَمَالِ الْخُلُقِ، وَلَيْسَ أَسْعَدَ لِنَفْسِي مِنْ تَحْقِيقِ مَا طَلَبْتِ.»

وَتَمَّ زَوَاجُهُمَا فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ. وَاحْتَفَى الْأَمْرَاءُ الْخَمْسُونَ بِهِمَا فِي قَصْرِ الْجَبَّارِ، وَأَقَامُوا فِي الْقَصْرِ أَيَّامًا، حَيْثُ جَمَعُوا — مِنْ نَفَائِسِهِ — كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَهُ.

(١٦) غَدْرُ «حَنْظَلَةَ»

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمِيرِ «هَبَةَ اللَّهِ» عَنْ إِخْوَتِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ عَنْهُمْ مِنْ قِصَّتِهِ. فَكَانَ فَرَحُهُمْ بِذَلِكَ لَا يَعِدُّهُ إِلَّا حُزْنَ «حَنْظَلَةَ» الْحَاسِدِ.  
وَقَدْ بَدَلَ الْحَبِيبُ كُلَّ جَهْدِهِ فِي مُدَارَاةِ حِقْدِهِ، وَرَاحَ يُوسِسُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ إِخْوَتِهِ — عَلَى انْفِرَادٍ — أَنَّ آبَاءَهُمْ سَيَحْتَضُّهُ بِكُلِّ حُبِّهِ، مَتَى عَلِمَ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ بَعِيدِ الْمَدَى. وَمَا زَالَ «حَنْظَلَةُ» بِإِخْوَتِهِ، يُغْرِبُهُمْ بِالْكَيْدِ لِأَخِيهِمْ — وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ — حَتَّى أَوْغَرَ صُدُورَهُمْ عَلَيْهِ، وَبَيَّتُوا مَعَهُ الْغَدْرَ لِلْأَمِيرِ «هَبَةَ اللَّهِ».

وَكَانَتْ خُطَّةُ الْحَبِيبِ «حَنْظَلَةَ» أَنْ يَنْتَهَزُوا فُرْصَةَ نَوْمِهِ، فَيَتَعَاوَرُوهُ بِخَنَاجِرِهِمْ، ثُمَّ يَتَسَلَّلُوا بِمَا مَعَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَبِيهِمْ هَارِبِينَ.

وَقَدْ أَنْفَذُوا جَرِيمَتَهُمُ الشَّنْعَاءَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّغَتِ الْأَمِيرَةُ لِمَصْرَعِ زَوْجِهَا؛ وَحَاوَلَتْ أَنْ تَسْتَنْجِدَ بِإِخْوَتِهِ، فَلَمْ تَجِدْ لَهُمْ أَثْرًا؛ فَأَدْرَكَتْ أَنََّّهُمْ الْجَانُونَ. وَأَسْرَعَتْ إِلَى قَرْيَةٍ تَتَلَمَّسُ لِزَوْجِهَا طَبِيبًا يَشْفِيهِ مِنْ جِرَاحِهِ. فَلَمَّا عَادَتْ وَمَعَهَا الطَّبِيبُ، لَمْ تَجِدْ لِحَبَّتِهِ زَوْجَهَا أَثْرًا؛ فَحَسِبَتْ أَنَّ بَعْضَ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ التَّهَمَّتْهَا؛ فَأَعْمَى عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ.  
وَبَدَلَ لَهَا طَبِيبُ الْقَرْيَةِ كُلَّ عِنَايَتِهِ. وَمَا زَالَ يَنْعَهْدُهَا — أَيَّامًا وَلَيَالِيًا — حَتَّى شَفَاها مِنْ مَرَضِهَا.

وَحَزِنَ الطَّبِيبُ لِقِصَّتِهَا، فَعَزَمَ عَلَى اصْطِحَابِهَا إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ «قَابُوسَ» لِيُفْضِيَ إِلَيْهِ بِمَا صَنَعَهُ الْحَقْدَةُ الْغَادِرُونَ.

(١٧) أَحْدَاثُ جِسَامٍ

وَكَانَتْ الْأَمِيرَةُ «فَيْرُوزَةَ» قَدْ رَحَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ «قَابُوسَ» بَعْدَ أَنْ طَالَتْ غَيْبَةَ وَلَدِهَا الْأَمِيرِ «هَبَةَ اللَّهِ».

فَلَمَّا سَأَلَتِ السُّلْطَانَ عَنْهُ، أَدْرَكَ مِنْ جَوَارِحِهَا أَنَّ الْفَتَى الَّذِي أَنْقَذَ مُلْكَهُ مِنَ الْعُدْوَانِ، هُوَ وَلَدُهُ. وَنَدِمَ «قَابُوسُ» عَلَى قَسْوَتِهِ أَشَدَّ النَّدَمِ.

وَدَاعَتِ أَنْبَاءَ الْقِصَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَتَنَاقَلَهَا الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ، وَاشْتَرَكَ الْجَمِيعُ فِي الْحُزْنِ عَلَى أَمِيرِهِمُ الْغَائِبِ.

فَلَمَّا وَصَلَتِ الْأَمِيرَةُ «نَاهِدُ» وَطَبِيبُهَا إِلَى مَدِينَةِ «قَابُوسِ»، وَجَدُوا الْجَمِيعَ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ حَدِيثٍ إِلَّا قُدُومُ «فَيْرُوزَةَ» بَاحْتَتَاءِ عَنِّ وَلَدِهَا، وَاحْتِفَاءِ السُّلْطَانِ بِهَا، فَاسْرَعَا إِلَيْهَا، وَقَصَا عَلَيْهَا مَا صَنَعَهُ الْغَادِرُونَ بِوَلَدِهَا.

فَأَغْمِيَ عَلَى «فَيْرُوزَةَ» مِنْ فَرَطِ الْأَلَمِ. وَنَمَا الْخَبْرُ إِلَى السُّلْطَانِ فَاشْتَدَّ بِهِ الْحُزْنُ وَعَزَمَ عَلَى التَّنْكِيلِ بِالْغَادِرِينَ، جَزَاءَ خِيَانَتِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ.

وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِحَبْسِ أَوْلَادِهِ، رَيْئِمًا يُنْفَذَ فِيهِمْ قَضَاءَهُ. وَمَا كَادَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِي تَشْرِقُ، حَتَّى تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْفَرَاعِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. فَأَطَّلَ السُّلْطَانُ مِنْ قَصْرِهِ، فَرَأَى الْجُنْدَ يَفِرُّونَ أَمَامَ جَيْشِ الْغُزَاةِ الَّذِي دَهَمَهُمْ وَهُمْ أَمَنُونَ. وَاسْتَوَلَتِ الْخَيْرَةُ عَلَى السُّلْطَانِ «قَابُوسِ» وَأَهْلِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَصْنَعُونَ. وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ عَاوَدَهُمُ الرَّجَاءُ حِينَ رَأَوْا فَارِسًا يَقْتَحِمُ صُفُوفَ أَعْدَائِهِمْ؛ ضَارِبًا فِي أَقْفِيَّتِهِمْ ضَرْبَاتٍ مُحْكَمَاتٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهَا، وَهُوَ يَصِيحُ: «أَحْسِنُوا أَيُّهَا الْغَادِرُونَ؛ فَقَدْ جَاءَكُمْ «هَبَةُ اللَّهِ».» وَكَانَ لِاسْمِهِ فِعْلُ السَّحْرِ فِي نَفُوسِ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَوِيَتْ قُلُوبُ أَوْلِيَائِهِ، بِمِقْدَارِ مَا تَخَاذَلَتْ عَزَائِمُ أَعْدَائِهِ. وَهَكَذَا تَبَّتِ الْمَوَالُونَ، وَهَرَبَ الْمُعَادُونَ. وَتَمَّ لِلْأَمِيرِ «هَبَةَ اللَّهِ» النَّصْرُ.

أَرَاكَ تَسْأَلُنِي: كَيْفَ سَلِمَ الْأَمِيرُ الشُّجَاعُ مِنْ جِرَاحِهِ، بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ عَلَى التَّلَفِّ؟ وَهَلْ ضَاعَ ذَلِكَ فِيمَا ضَاعَ مِنْ تَفْصِيلِ الْقِصَّةِ؟ وَقَدْ أَجَابَ الرُّوَاةُ عَنْ سُؤَالِكَ — لِحُسْنِ الْحِظِّ — وَحَدَّثُونَا: أَنَّ زَارِعًا سَمِعَ أُنْبِيئَهُ وَهُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ وَدَخَلَ خَيْمَتَهُ، وَنَقَلَهُ مُتَرَفِّقًا، عَلَى جَمَارِهِ، حَتَّى وَصَلَ بِهِ إِلَى دَارِهِ. ثُمَّ اسْتَدْعَى طَبِيبَ الْقَرْيَةِ لِمُعَالَجَةِ ضَيْفِهِ الْجَرِيحِ، وَكَانَتْ طَعَنَاتُ الْجُبْنَائِ الْغَادِرِينَ — لِحُسْنِ الْحِظِّ — غَيْرَ قَاتِلَةٍ! فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ شَفَاهُ الطَّبِيبُ. وَلَمْ يَنْسَ لَهُمَا «هَبَةُ اللَّهِ» حُسْنَ صَنِيعِهِمَا؛ فَمَنَحَ كُلًّا مِنْهُمَا بَدْرَةً مِنَ الدَّنَانِيرِ. وَبَيْنَمَا هُوَ عَائِدٌ إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِ، إِذْ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ قُلُوبِ جَيْشِهِ، وَمَا كَادَ يُعْرِفُهُمْ

بِنَفْسِهِ؛ حَتَّى دَبَّ فِي نَفْسِهِمُ الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ، وَاجْتَمَعَ مِنْ شَمْلِهِمْ مَا تَفَرَّقَ. وَكَانَتْ  
الْمَعْرَكَةُ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى نَهَايَتِهَا؛ فَأَسْرَعَ إِلَى الْأَعْدَاءِ ضَرْبًا فِي أَقْفِيَّتِهِمْ، وَطَعَنًا فِي صُدُورِهِمْ،  
وَهُوَ يُنَادِي بِاسْمِهِ. فَدَبَّ فِي صُفُوفِهِمُ الرُّعْبُ وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ.

## (١٨) خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَأَنْتَهَزَ الْأَمِيرُ فُرْصَةَ الْبَهْجَةِ الشَّامِلَةِ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَى الْجَمِيعِ؛ فَالْتَمَسَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يُطْلَقَ  
إِخْوَتَهُ مِنْ سُجُونِهِمْ، وَيَغْفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ. وَمَا زَالَ يَسْتَعِظِفُهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى ظَفَرَ بِمَا أَرَادَ.  
وَكَانَ دَرَسًا عَظِيمًا فِي الْمُرُوءَةِ وَالشَّهَامَةِ، وَالنُّبْلِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْتَرَفُّعِ عَنِ الْاِنْتِقَامِ،  
وَمُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ. وَكَادَتْ تَنْتَهِي الْقِصَّةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ لَوْلَا أَنَّ الْغَضَبَ الْإِلَهِيَّ لَمْ  
يُفْلِتْ رَأْسَ الشَّرِّ مِنَ الْعِقَابِ، فَلَمْ يَكُدْ «حَنْظَلَّةُ» يَدْخُلُ السَّجْنَ بَعْدَ انْكِشَافِ سِرِّهِ، حَتَّى  
خَشِيَ اِنْتِقَامَ أَبِيهِ، فَأَعْمَلَ جِيلَتَهُ فِي الْخَلَاصِ، وَصَبَرَ إِلَى اللَّيْلِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَنْسَلِلَ مِنْ سَجْنِهِ،  
فِي غَفْلَةٍ مِنْ حُرَاسِهِ؛ مُتَسَلِّقًا جِدَارَهُ الْعَالِي. فَزَلَّتْ قَدَمُهُ، وَهَوَى عَلَى صَخْرَةٍ جَاسِيَةٍ؛ فَدُقَّتْ  
عُنُقُهُ، وَلَقِيَ جَزَاءَ لُؤْمِهِ.

وَلَا تَسَلَّ عَنْ فَرَحِ «قَابُوسَ» وَ«فَيْرُوزَةَ» وَ«نَاهِدَ» بِعَوْدَةِ «هَبَةَ اللَّهِ»؛ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَ يَأْسُهُمْ  
مِنْ لِقَائِهِ. وَلَمْ تَكُنْ حَفَاوَةَ الشَّعْبِ بِأَقْلٍ مِنْ حَفَاوَتِهِمْ بِهِ؛ فَاِنْطَلَقَ يَهْتَفُ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ  
مَكَانٍ.

وَخَلَصَتِ الْأُسْرَةُ مِنْ «حَنْظَلَّةِ» الْمُفْسِدِ؛ فَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَهُمْ شَيْطَانٌ مُنْذَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَعَاشَ  
الْإِخْوَةُ جَمِيعًا مُتَحَابِّينَ مُتَعَاطِفِينَ. وَلَمْ يَنْسَ الْأُمْرَاءُ التَّسَعُّةَ وَالْأَرْبَعُونَ أَنَّهُمْ بِحَيَاتِهِمْ —  
لَأَخِيهِمْ — مَدِينُونَ.